29 - السيدة أم المنذر بنت قيس

الأنصارية المبايعة

اسمها سلمى، والدها قيس بن عمرو، وكانت تُكنى بأم المنذر، وأخوها بطل من أبطال معركة الجسر، واسمه سليط بن قيس، وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه وجرأته في الحق، وجهاد الكافرين.

وقد جاءت أم المنذر مع أخواتها المسلمات إلى رسول الله ﷺ ليبايعنه، وها هي ذي تروي لنا قصة تلك البيعة كما جاء عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلِيطُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ إِحْدَى خَالاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ الْقِبْلَتَيْنِ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَتْ: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَبَايَعْتُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا نَسْرِقَ وَلا نَزْنِيَ وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، قَالَ: «**وَلا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ**»، قَالَتْ: فَبَايَعْنَاهُ ثُمَّ انْصَرَفْنَا، فَقُلْتُ لامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ: ارْجِعِي، فَاسْأَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَا غِشُّ أَزْوَاجِنَا؟ قَالَتْ: فَسَأَلَتْهُ، فَقَالَ: «**تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ**»[1].

بطولات أخيها

شهد سليط أخوها معركة بدر، فأحسن فيها أحسن البلاء، ولقَّن المسلمون قريشاً ومن والاها من الكفرة والمشركين درساً لا يُنسى، وتكبَّدت

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث سلمى بنت قيس/برقم: (25882).

قريش يومئذٍ أفدح الخسائر، وبات أعظم قادتها صرعى أمثال أبي جهلٍ، وابني ربيعة: عتبة وشيبة، والوليد بن عتبة، وأُميَّة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، ثم أمر رسول الله ﷺ بإلقائهم في قليب بدر، وعاد جند الله مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأكاليل الغار فوق جباههم، ورايات النصر ترفرف فوقهم، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

كان سليط بن قيس معروفاً بتسرُّعه واندفاعه في ساحات القتال، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يعرف تلك الخصلة فيه.

فلما كان يوم الجسر بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ سريةً إلى العراق، واستعمل عليها أبا عُبيد، وكان في السرية سليط بن قيس، وقبل أن يتحرَّك أبو عُبيد بسريته قال له عمر: إنه لم يمنعني أن أستعمل سليط بن قيس، إلا أنه رجل يتسرَّع إلى الحرب، ولا يصلح للحرب إلا الرجل المتأنِّي، وأخاف أن يوقع المسلمين في موقعٍ يهلكهم، فاستشره واسمع منه ولا تولِّه إمرة.

ولما وصل جنود المسلمين إلى جسر فوق نهر الفرات، أقسم أبو عُبيد ليقطعن الفرات عند الجسر بجنوده ليلقِّن جيش فارسٍ درساً في الحرب لم يعرفوه من قبل، وسأل أبو عُبيد سليطاً رأيه، فقال له سليط: لا تقطع النهر ولكنَّ أبا عُبيد أصرَّ على عبور النهر بعد أن أقسم، وراح سليط بن قيس يناشده الله ألَّا يفعل، ثم قال له: إن العرب لم تلقَ مثل جمع فارسٍ، منذ كانت، وإن فارس ستأتي بعدَّةٍ وعتادٍ لم نشهدها من قبل، فاجعل يا أبا عُبيد ملجأ ومرجعاً لجندك يلجأون إليه من هزيمة إن كانت، فردَّ أبو عبيد، وقال: والله لا أفعل، جبُنت يا سليط! كيف يجبن سليط، وبدر تشهد أنه البطل الصنديد، والمحارب العتيد، ذو البأس الشديد؟.

وردَّ سليط على أبي عُبيد بقوله: لا، والله، ما جبنت، ولأنا أجرأ منك نفساً وقبيلاً، ولكن قد أشرت بالرأي، فافعل ما بدا لك، فإنما أنت أمير الجند، وما علينا إلَّا أن نطيعك.

ومضى الجند وراء أميرهم، فعبر أبو عُبيد بهم الجسر، والتقى الجمعان: جمع المسلمين، وجمع الفرس الكافرين، واستبسل المسلمون استبسالاً عظيماً، وأظهروا شجاعة فائقة منقطعة النظير، فقتلوا من أعداء الله خلقاً كثيراً، ثم شدَّ أبو عُبيد على كبير الفيلة، فضرب مشفره بسيفه فبرك الفيل، وسقط أبو عُبيد تحته فقتله؛ وتفرَّق الناس من حوله، ثم لاذوا بالفرار، ولكن سليطاً لم يهرب، ولم يجبُن، بل ظلَّ يقاتل ببسالةٍ نادرةٍ حتى أُحيط به، ولقي الله شهيداً - رحمه الله تعالى -.

وانحاز المثنَّى بن حارثة الشيباني بمن بقي معه من الناس، وقد دلَّت نتيجة المعركة التي انتهت بهزيمة المسلمين على أن رأي سليطٍ كان أحق بالاتِّباع، ولكنَّ مشيئة الله ماضية في عباده، مهما احتاطوا أو اتَّخذوا من الحذر الشديد، وفقد المسلمون يومئذٍ عدداً كبيراً من القتلى يصل إلى بضعة آلاف بين قتيل وغريق.

وبقي المثنى ﷺ مرابطاً بجنوده الصامدين حيال جند العدوِّ، ثم وصلت بعض الفلول الهاربة إلى المدينة، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد بلغه خبرهم، فخرج يتلقَّاهم ﷺ، وراح يهدِّئ من روعهم، ويقول لهم: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فئتكم، إنما انحزتم إليَّ، مشيراً إلى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: 15، 16].

يا لك من طبيبٍ حكيم! وبعلاج الرعية عليم! بوركت يا عمر!! ولكن أي عجب في تصرُّفك وأنتَ المبرِّز والمتفوِّق في مدرسة الرؤوف الرحيم، عليه أكمل الصلاة وأتمُّ التسليم؟!.

ثم جهَّز عمر ﷺ مدداً كبيراً من الجنود من قبائل بجيلة وبكر بن وائل وتميم وسواهم، ولما وصل المدد إلى المثنَّى كرَّ على الفرس كرَّة عظيمة،

فقتل منهم عدداً لا يُحصى، وشتَّت جمعهم، وهزمهم الله، وكانت الغلبة للمسلمين، وجاء النصر من الله العزيز العليم.

اشتراك أم المنذر في بيعة الرضوان

حين خرج رسول الله ﷺ بالمؤمنين إلى مكة يريدون الاعتمار، والطواف بالبيت الحرام، تعظيماً له، وساقوا أمامهم الهدي لينحروها، بعثت قريش رسولاً إلى المسلمين يخبرهم باعتراضها على دخولهم مكة، وانتدب رسول الله ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ.

قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ؛ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ[1].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: **«لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ»**، ونادى مناديه ﷺ: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ فأمره بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله تعالى، فبايعوه، فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على الموت، وكانوا يُعدُّون يومئذٍ ألفاً وأربعمائة رجلٍ، ونزل قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

(1) حديث الحديبية طويل رواه: أحمد/كتاب: أول مسند الكوفيين/باب: حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم/برقم: (18152).

قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: 18، 19].

وكانت أم المنذر ﵂ بين المُبايعين، وشهدت رسول الله ﷺ يضرب بيده اليمنى على يده الأخرى وقال: «**هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ**»، روى الترمذي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ**» فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ؛ قَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[1].

فأي شرفٍ حظي به عثمان ﵁ حين ينوب عنه رسول الله ﷺ؟ ومن أعرف بقدر ذي النورين من خاتم المرسلين؟.

ولما علمت قريش بأمر البيعة أوجست خيفةً من لقاء المسلمين، فأطلقت لهم عثمان ﵁، ثم جرى صلح الحديبية، وقضى بأن يرجع المسلمون عامهم هذا على أن يعودوا في العام القادم للاعتمار.

لقد فازت أم المنذر في بيعة الرضوان هذه ببشارتها بالجنة، إذ حَدَّثَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ الرَّمْلِيُّ أَنَّ اللَّيْثَ حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[2]، فما أجملها من بشرى نالها المبايعون، والمبايعات في تلك الساعة المباركة!!.

اشتراكها في حصار بني قريظة

كانت أم المنذر محبة للجهاد، مشاركة فيه، ولما تحوَّل رسول الله ﷺ

---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في مناقب عثمان بن عفان/ برقم: (3635).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: السنة/ باب: في الخلفاء/ برقم: (3034).

من غزوة الخندق إلى بني قريظة حيث جاءه جبريل عليه السلام يخبره بأمر ربه للخروج إليهم، رافقته أم المنذر رضي الله عنها، وبعد أن حاصرهم رسول الله ﷺ خمسةً وعشرين يوماً حكَّم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه، وكان بنو قريظة مواليه في الجاهلية، فحكم سعد بأن تقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، وتوزَّع أموالهم في المسلمين، وهذا حكم الله ورسوله ﷺ.

وحين عُرض المقاتلة من بني قريظة على السيف بادرت أم المنذر إلى رسول الله ﷺ، فرأى النبي ﷺ عليها أمارات الحيرة، فقال لها: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ الْمُنْذِرِ؟**» فقالت له: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إن رفاعة بن سموأل كان يغشانا[1]، وله بنا حرمة، فهبه لي وكان رسول الله ﷺ قد رآه يلوذ بها، فقال ﷺ: «**نَعَمْ هُوَ لَكِ**»، فقالت: يا رسول الله، إنه سيصلِّي، ويأكل لحم الجمل، فابتسم النبي ﷺ وقال: «**إِنْ يُصَلِّ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَإِنْ يَثْبُتْ عَلَى دِينِهِ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ**»، ثم خلَّى رسول الله ﷺ سبيله، وأسلم رفاعة بعدئذٍ، وهكذا نجا رفاعة من القتل والنار على يد أم المنذر رضي الله عنهما.

وكان رسول الله ﷺ يزورها، روى أَبُو دَاوُدَ، عَنْ فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنْ أُمِّ الْمُنْذِرِ بِنْتِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَعَلِيٌّ نَاقِهٌ وَلَنَا دَوَالِي مُعَلَّقَةٌ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَامَ عَلِيٌّ لِيَأْكُلَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ: «**مَهْ إِنَّكَ نَاقِهٌ**» حَتَّى كَفَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه، قَالَتْ: وَصَنَعْتُ شَعِيرًا وَسِلْقًا فَجِئْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَلِيُّ، أَصِبْ مِنْ هَذَا، فَهُوَ أَنْفَعُ لَكَ**»[2].

---

(1) يغشانا: يزورنا.

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الطب/ باب: في الحمية/ برقم: (13358).

ثقة النبي ﷺ بها

وبلغ من فضل أم المنذر ﵂ أن رسول الله ﷺ أعرس في بيتها بريحانة بنت زيد، وها هي ذي ريحانة تحدِّثنا عن عرسها، قالت:

«لمَّا سُبِيَتْ بنو قريظة عُرض السبي على رسول الله ﷺ فكنت فيمن عُرض عليه، فأمر بي، فعزلتُ، فلما عُزلتُ خار الله لي، فأرسل بي إلى بيت أم المنذر بنت قيس ﵂ فأقمت عندها أياماً، ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ فتحيَّيتُ[1] فدعاني فأجلسني بين يديه فقال: «**إِنْ اخْتَرْتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، اخْتَارَكِ رَسُولُ اللهِ لِنَفْسِهِ**»، فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمتُ أعتقني رسول الله ﷺ، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً، كما كان يُصْدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب عليَّ الحجاب.

روت أم المنذر الحديث عن رسول الله ﷺ، كما رواه عنها عددٌ من الرواة كأيوب بن عبد الرحمن، وأم سليط بنت أيوب، وظلَّت أم المنذر وفيَّة لإسلامها حتى حضرتها الوفاة، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.

(1) تحييت: اختبأت منه حياء.